توثيق رواية الشعر العربي قبل الاسلام

مادة تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام الصف الأول الفصل الأول قسم اللغة العربية

ا.م.د.اياد سالم ابراهيم

اهتم العرب بالشعر كثيرا ؛لان الشعر ديوان العرب فيه اخبارهم وبين ثناياهم ايامهم وفي كل خفقة فيه حس مرهف من احاسيسهم الصافية الرقراقة تمثل في سلسلة الرواة الطويلة هذا الاهتمام ،والرواية كانت الوسيلة السليمة في الحفاظ على الشعر لتؤديه الى الاجيال حلقة متصلة لا يطمسها ضياع ولا يحرفها اختلاط كتابة ،او يضيعها تصحيف او تحريف ،وقد حرص الرواة على تناقل الشعر وروايته وادائه اداء صحيحا ؛لانهم وجدوا فيه سلاحا يدافع عن الدعوة خصومها ،ويمد شعراء الدعوة بما يجعلهم قادرين على الوقوف امام خصومها فكان الرسول صلى الله عليه وسلم يحث حسان بن ثابت ويشد من ازر كعب بن مالك وعبدالله بن رواحه لهجاء قريش والرد على كل دعوة باطلة يرفعها الشعراء المناهضون .

اهتم بالشعر من خلف النبي صلى الله عليه وسلم من الخلفاء فكان سيدنا(ابو بكر الصديق)راوية للشعر وكان يتمثل به ويستشهد به في شعره .

-وقلما كان سيدنا(عمر بن الخطاب)يترك وافدا لا يكاد يساله عن شعراء قبيلته حتى قال ابن سلام :(كان لايكاد يعرض له امرا الا استشهد فيه بيت من الشعر)

-اما سيدنا (عثمان بن عفان) فمع انه لم يردد شعرا او ينشده إلا انه لم يمنع الشعراء من قول الشعر او روايته وانشاده.

-وكان سيدنا الإمام (علي بن أبي طالب) كرم الله وجهه ينظم الشعر ويتمثل به ويرويه وربما اثاب عليه قال ابن رشيق انه قال : (الشعر ميزان القوم او ميزان العرب)

وهذا الاتجاه في الحفاظ على الشعر والتمسك به جعله حقلا من حقول المعرفة ظل يعكس لنا الوجه الحقيقي لهذا الاهتمام ،وسلاسل الرواة الممتدة من الجاهلية الى الاسلام تدل دلالة واضحة على ذلك

-سلسلة اوس بن حجر الذي روى شعره زهير بن ابي سلمى الذي روى شعره ابنه كعب بن زهير الذي روى شعره الحطيئة الذي روى شعرهدبة بن الخشرم الذي روى شعره جميل بن معمر الذي روى شعره كثير عزة .

سلسلة طرفة بن العبد كان يروي لخاله المتلمس الضبعي وكانت هناك سلاسل رواة شعر هذيل والصعاليك وغيرهم، ووصل الاهتمام بالشعر إلى ان البعض كان يرسلون بريدا لاختلافهم في بيت شعر او خبر الى العراق والامصار الاخرى

الرواية وفق مدلولها اللغوي القديم تعني :

-تعني الحيوان الذي يحمل الماء من منابعه كالعيون والابار و مساقطه كالامطار والسيول والاحواض والوديان الى المجموعات السكانية

-الشخص الذي يحمل الماء يسمى (بالراوية)
-المزادة (القربة)من القماش او الجلد عندما تملىء بالماء تجمع على روايا حتى انتقل معناها الى الشعر
-ايضا امراء القبائل وساداتها سموا بالروايا لانهم يجمعون ويحملون عن قومهم دياتهم وغراماتهم لانهم يحملون عن قومهم الديات
والغرامات في الحروب فقد جاء في النثر الجاهلي (فقتلنا الروايا وابحنا الزوايا)اي قتلنا السادة وابحنا البيوت
-راوية الماء اقرب الى تلقي الشعر وسماعه وهو يلتقي بالقبائل وشعرائها عند موارد الماء وهم يروون اشعارهم وادابهم والدليل قول
الشاعر:

- فلاهدين مع الرياح قصيدة مني مغلغلة الى القعقاع

- ترد المياه فلا تزال غريبة في القوم بين تمثل وسماع

فلما كثر حمل الناس للشعر عن طريق روايا الماء أجازوا لأنفسهم أن يصطلحوا على تسمية حامل الشعر بالراوية وجمعوها على رواة تمييزا عن الرواة الذين يحملون الماء ثم عرف رواة الأخبار والأثر والقصص وعلوم الدين الاسلامي والحديث الشريف

الراوي :يعني كل شخص يحفظ شعرا وينشده او يلازم شاعرا ويحمل عنه شعره او يستظهر شعر قبيلة بعينها ويرويه ثم تطورت الى

غير الشعر من فنون النشاط الذهني وقد ورد ذكر الرواة في عدة مواضع كقول النابغة الذبياني :

الكني يا عيين اليك قولا ستهديه الرواة اليك عني

وقال اخر :ندمت على شتم العشيرة بعدما مضت واستتب للرواة مذاهبة

فاصبحت لا استطيع دفعا لما مضى كما لا يرد الدر في الضرع حالبه

توثيق الرواية

يعني دراسة رواة الشعر الجاهليين فهم امناء السر الذين سلموا هذه الثروة القومية الى العلماء والرواة الإسلاميين

لديناروايتان احدهما وثني جاهلي سلم الى الاخر روايته وهو إسلامي الأول يتصل بعصر الشعر نفسه من ناحية وبعصر تدوينه من ناحية اخرى

فهل كان هولاء صادقين حذرين ام انهم شخوص خيالية اخترعتها عبقرية الرواة في القرن الاول والثاني من ظهور الاسلام هذا من ناحية ومن

ناحية اخرى ،ومن ناحية اخرى هل كان مستقبلوا هذه الاشعار يعون حجم المهمة الملقاة عليهم وهل صدقوا عندما دونوا هذه الاشعار وهل كانت مدوناتهم مضبوطة .

مضمون الاتهام ان ما دونته المصادر الإسلامية هو شعر جاهلي حقا لكنه ليس بالضبط للاشخاص الذين ورد باسمائهم بل وقع التلاعب في التسمية من قبيل ادعاء شاعر او رواية لقصيدة وهي لاخر او ادعاء قبيلة او جماعة لشعر او ديوان وهو لغيرهم كما حصل لقريش عندما وجدت مجدها العظيم ينقصه الشعر فنسبت شعرا وهو لغيرها اما منحول او منتحل .

مشكلة التوثيق تكمن في نسبة الشعر الى صاحبه الاصلي وفي تحديد الملكية الادبية للمؤلف والاتفاق حاصل على جاهلية هذا الشعر لكن تعمد بعض القبائل الى استلاب أشعار الاخرين لاستلاب المجد الشعر من قبيلة اخرى ولافتعال مجد مجتلب عن طريق شعر اسلامي مع اداعاء جاهليته وهذا يدخل في باب الشعر الموضوع والمصنوع

امراض الرواية :

كان مما اثمر من جهود الباحثين والدارسين في ميدان توثيق رواية الشعر العربي قبل الاسلام ان يصنفوا مجموعة من الامراض التي تصاب بها الرواية وهي :

١-النحل في اصطلاح علماء الشعر :هو ان تعزوا قصيدة او بيتا الى شاعر وهو لغيره يقع ذلك عمدا او سهوا كان بشير بن ابيرق يقول الشعر ويهجو به اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وينحله بعض العرب وينسبه اليهم بالباطل .

٢-الانتحال : هو ان تدعي لنفسك ما ليس لك كأن تنسب لنفسك قصيدة او شعرا هو من قول غيرك وانتحل وتنحل بمعنى واحد فبعض الشعراء ينفي عن نفسه الانتحال بقوله :ولم انتحل الاشعار فيها ولم تعجزني الدح الجيادا

وقد رد الاعشى الكبير عن نفسه تهمة الانتحال لما اتهمه النعمان بن المنذر بها فقيده بوزن وقافية فاطلق قصيدته لرد التهمة مما يدل على ان العرب عرفت الانتحال قبل الاسلام بقوله :

فكيف انا وانتحال القوا في بعد المشيب كفى ذاك عارا

وقيـــــدني الشعر في بيته كما قيدت الاسرات الحمارا

٣- الوضع او الصنع (الموضوع والمصنوع)فهو الشعر الذي جرى نظمه في الاسلام وعزي الى العصر الذي قبله فهو شعر يعكس اجواء ذلك العصرالجاهلي وقيمته ولغته الا انه لم يقله جاهلي بل وضعه او صنعه شاعر اسلامي مقتدر على تزييف الشعر فهذا العمل يستدعي جهدا ومقدرة فنية والماما بمذاهب الكلام واحاطة بمعارف القدماء ومسالكهم قال المفضل الضبي ((قد سلط على الشعر من حماد ما افسده فلا يصلح ابدا فقيل له وكيف ذلك اكان يخطىء في روايته ام يلحن قال ليته كان كذلك ،فان اهل العلم يردون من الخطأ الى الصواب ، لا ولكنه رجل عالم بلغات العرب واشعارهم ومذاهب الشعراء ومعانيهم فلا يزال يقول قولا يشبه به مذهب احدهم ويدخله في شعره ويحمل ذلك في الافاق فيختلط مع اشعار القدماء ولا يتميز الصحيح منها الا عند العالم الناقد واين ذلك العالم))

وخير مثال على ذلك ذكر ان ابا عبيدة وابن نوح العطاري استقبلا ابو داود ابن متمم بن نويرة فسالاه عن شعر متمم بن نويره وجده ،فرد عليهم بقصيدة ليست لمتمم مع معارضته للمواضع والاسماء والمواقع التي ذكرها متمم في اشعاره وهي من نظمه وقد نسبها الى متمم الا انهما قد اكتشفا ان هذه القصيدة ليست لمتمم وقد اعترف لهما بوضعها وهو اسلامي نسبها لشاعر جاهلي مما يدلل على جهود الرواة الثقاة وفطنتهم ونباهتهم للشعر الموضوع والمصنوع ،وكان مما تنبه اليه

العلماء الشعر المصنوع والمنحول والمنتحل مما يبرهن مدى توثيقهم فيما يروونه لهذا برزت عبارات (وجاء بالشعر الثابت الذي لايرد)(ثبت قديمة)(الشاهد الصادق)(الاشعار الصحيحة)(اشعارهم المعروفة واخبارهم الصحيحة)
ينقسم الرواة الى عدة اقام منها :
١-رواة الشاعر :راوي يحفظ عن شاعر وينشد اشعاره وقد يكون من اهل بيته او قبيلته الا ما ندر وان اقدم راوية في شعرنا القديم هو امرؤ القيس فقد عاش في كنف خاله المهلهل بن ربيعة وتتلمذ على يديه يقول ابن رشيق انه كان يتكي عليه بشعره لكنه اشار الى شخص اخر قد تاثر به فقلده بقوله عوجا على الطلل المحيل لاننا نبكي الديار كما بكى ابن خذام
فأبو ذؤيب الهذلي كان رواية لساعدة بن جؤية ،وزهير بن اي سلمى كان راوية لخاله بشامة بن الغدير، وراوية لزوج امه اوس بن حجر ،وكعب بن زهير روى اشعار والده زهير بن ابي سلمى، والاعشى راوية لخاله المسيب بن علس ، وطرفة بن العبد كان راوية للمرقش الاصغر لنسبة القربى بينهم وكذلك كان راوية لخاله المتلمس الضبعي .
٢-الراوي من الجن :ولم تقتصر الرواية للشاعر عند حدود الواقع بل اخذت ابعادا غيبية في اذهان الشعراء والناس ،فخرجوا من حيز الوجود البشري الى الكائنات الاثيرية فجعلوا للشعراء رواة من الجن وقد تحدرت هذه الفكرة منحدرات غيبية بدائية لاولية الشعر المرتبطة بالسحر والكهانة فسموا رواة الشعراء من الجن فراوي امرئ القيس اسمه (لافظ بن لاحظ)وراوي عبيد بن الابرص (هبيد) وراوي النابغة الذبياني (هاذر بن ماهر)وراوي الاعشى الكبير (مسحل)واوردوا اشعارا على لسان الجن تفتخر بقتل سعد بن عبادة بقولهم :

قد قتلنا سيد الخز رج سعد بن عبادة
ورميناه بسهميـ ين فلم نخطىء فؤاده

٣- رواة القبيلة :اقدم انواع الرواة الذين يروون النشيد الوطني الشعري لاشعار قبائلهم وقد يكون راوي الشاعر راوي قبيلة اذا كانا من نفس القبيلة والشعر يمثل مجد القبيلة ، فكانت العرب لا تفرح الا لثلاث نتاج فرس وولادة ذكر ونبوغ شاعر في القبيلة وهذا الاخير تحتفل به العرب احتفالا ويدخل ضمن طقوسهم واعرافهم الاجتماعية ؛لان الشاعر يعد عندهم من المعالم الثقافية ولسان حال القبيلة او القناة الاخبارية التي تعكس مجد القبيلة بحاضرها وماضيها ، كما كانت الالياذه لهوميروس في حياة اليونانيين وشاهنامه الفردوس في حياة الفرس وانشودة الظلام لدى الالمان وانشودة رولان لدى الفرنسيين وانياذة فرجليوس في حياة الرومانيين كما هو الحال في قصيدة عمرو بن كلثوم التغلبي وقد حسدت تغلب على هذه القصيدة فهجاهم احد شعراء بكر بن وائل بقوله :

الهى بني تغلب عن كل مكرمة قصيدة قالها عمرو بن كلثوم
يروونها ابدا مذا كان اولهم ياللرجال لشعر غير مسؤم

وقد لقن شعراء تغلب القصيدة لصغارهم وكبارهم بل تجاوز الامر الى دراستها وشرح ما فيها من خبر وقصة واسطورة وحادثة
٤- الراوي العالم : وهو الراوي الذي لا يكتفي بنقل الشعر وحسب بل مدارسته وقد يجره الامر الى الشرح والتحليل والتعديل والتفسير فيما يروي ليس لسوء قصد وانما لاصلاح خلل او تبديل عبارة لم تستقم مع السياق لهذا يعترف خلف الاحمر بان القدماء اصلحوا الاشعار قال الاصمعي كنت اقرا على خلف الاحمر شعر جرير فلما بلغ قوله :

فيه فيا لك يوما خيره قبل شره تغيب واشيه واقصر عاذله

قال خلف الاحمر :ويله وما ينفعه خير يؤول الى شر فقال الاصمعي:هكذا قراته على ابي عمر بن العلاء ،فقال:خلف صدقت كان ابو عمرو قليل التنقيح مشرد الالفاظ وما كان ليقرئك الا كما سمع فقال الاصمعي :الأجود ان يقول:

فيالك يوما خيره دون شره تغيب واشيه واقصر عاذله

ابن مقبل يقول في اصلاح الرواة للشعر اني لارسل البيوت عوجا فتاتي الرواة بها قد اقامتها
ومن الرواة :ابو عمرو بن العلا ، وحماد الراوية ، والمفضل الضبي ،والاصمعي ،وابو عبيدة وغيرهم